علوم القرآن والتفسير في رسائل النورسي

الدكتور أحمد شكري شابسوغ

قسم أصول الدين/ الجامعة الأردنية

obeikandi.com

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

فلقد تلقيتُ ببالغ السرور دعوة كريمة من السيد الفاضل مدير مكتب المعهد العالمي للفكر الإسلامي في عمان للمشاركة في الحلقة الدراسية حول «بديع الزمان سعيد النورسي: فكره ودعوته» وذلك من خلال إعداد ورقة عن **«منهج النورسي في التعامل مع القرآن الكريم»**، ولما كنتُ من محبي النورسي ومقدريه لم يسعني إلا أن أستجيب مع علمي بصعوبة الأمر من جانب، وحلاوته من جانب آخر، فعكفت على رسائل النور أياماً متتالية، استمتعتُ خلالها كثيراً بمرافقة النورسي في رسائله.

وقد قسمت ورقتي هذه إلى مبحثين، خصصتُ الأول منهما للحديث عن علوم القرآن في رسائل النور، وجعلت الآخر خاصاً بالحديث عن التفسير فيها، وهو جهد يسير متواضع، أتشرف فيه بأن يذكر اسمي مع اسم بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله رحمة واسعة، وأشكر للإخوة الأفاضل في المعهد العالمي للفكر الإسلامي إحسان الظن بي، وأرجو أن أكون عند حسن ظنهم ﴿وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أُنيب﴾.

التمهيد

لم يكن بديع الزمان سعيد النورسي شخصاً عادياً، بل كان رجلاً متميزاً، «تجسَّد في ذاته جميع ما أطلق عليه من ألفاظ، فهو سعيد اسماً ومعنى، وبديع زمانه جهاداً وتضحية، ونور شعَّ في ظروف تركية إسلامية هي بأمس الحاجة إلى أنوار عقليته الجبارة وتوجيهاته السديدة»[1].

وقد تعرض النورسي في حياته للكثير من الصعاب والعواصف والحوادث القاسية، فلم يحن لها رأساً ولم يلن أبداً، بل بقي في جميع مراحل حياته شامخاً ثابتاً مطمئناً... ولا أدل على ذلك من مواقفه البطولية وعباراته القوية أمثال: «لو كان لي ألف نفس لما ترددتُ في التضحية بها في سبيل إيماني، وفي سبيل آخرتي...»[2]، «لو كان لي من الرؤوس بعدد ما في رأسي من الشعر، وفصل كل يوم واحد منها عن جسدي، فلن أحني هذا الرأس الذي نذرته للحقائق القرآنية أمام الزندقة والكفر المطلق، ولن أتخلى بحال من الأحوال عن هذه الخدمة الإيمانية النورية، ولا يسعني التخلي عنها»[3].

وانتقل رحمه الله من سجن إلى نفي، ومن حرب إلى إقامة جبرية، ومن محاكمة إلى محاولة اغتيال. ومرض طال أمده، وهو في جميع هذه الظروف القاسية مشعل هداية لم يفتر، ومصدر عطاء فياض لم يتوقف، وكان لرسائله القوية أثرها الفعال في أتباعه وقرائها، وكانت بحق رسائل نور أنارت القلوب والأرواح، وكان النورسي بحق رجل القدر الذي تصدى للطغيان، ووقف أمام الظالمين يحذر من عاقبة الظلم والبعد عن دين الله، ويعلن كلمة الحق مدوية بلا وجل ولا تردد، حتى لحق بربه راضياً مرضياً، قرير العين.

أما **(رسائل النور)** حسنة النورسي الجارية، فقد كانت ساعده الأيمن في نشر دعوته الإصلاحية، وكان تلاميذه يسارعون إلى تلقفها ونسخها وتوزيعها مع ما

---

(١) من تقديم د. عبد الملك السعدي لرسالة محاكمات عقلية، انظر صيقل الإسلام، ص ١١.

(٢) الشعاعات، ص٤٢٦.

(٣) الشعاعات، ص٤١٠.

كانوا يعانون في سبيل ذلك من عقبات وقيود تصل إلى حد الاعتقال لمجرد قراءتها وتوزيعها[1]، ولم يثن ذلك من عزيمتهم شيئاً، مقتبسين من أستاذهم مقتدين به.

وكان إطلاق اسم (النور) على هذه الرسائل في محله، فموضوعاتها مستلهمة من القرآن الكريم الذي وصفه الله تعالى بأنه (نور) في أكثر من آية، منها قوله تعالى: ﴿وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾[2].

وكثيراً ما تحدث النورسي عن الصلة بين القرآن الكريم ورسائل النور، مبيناً أن رسائل النور: قطرات من بحر القرآن، ورشحات من لمعاته، وتفسير له، وقبسات من أنواره وحقائقه، وإثبات لإعجازه، فمن ذلك قوله: «إن رسائل النور برهان باهر للقرآن الكريم، وتفسير قيم له، وهي لمعة براقة من لمعات إعجازه المعنوي، ورشحة من رشحات ذلك البحر، وشعاع من تلك الشمس، وحقيقة ملهمة من كنز علم الحقيقة، وترجمة معنوية نابعة من فيوضاته»[3].

ويلحظ القارئ في رسائل النور هذا الأمر بوضوح فالنورسي في رسائله قد يفسر معنى الآية ويوضحه ، أو يعلق على الآية مستلهماً منها غارفاً من معينها، مقتبساً من أنوارها، أو يذكر الآية في افتتاح الرسالة لوجود صلة بينها وبين موضوع الرسالة، فمثلاً أثبت سورة الزلزلة في بداية ذيل الكلمة الرابعة عشرة؛ لأن موضوع الذيل الزلزال الذي حدث في تلك الأيام، ورغب النورسي أن يعلق على الحدث[4]، وافتتح رسالة الاقتصاد بقوله تعالى : ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾[5]، وافتتح المبحث الأول من المكتوب الثاني والعشرين، وهو مبحث يدعو أهل الإيمان إلى الأخوة والمحبة بثلاث آيات فيها الدعوة إلى الأخوة والمحبة[6].

---

(1) الشعاعات، ص٦٠٠ و ٦٠٢ و ٦٠٧ و ٦١٥ – ٦١٨ وغيرها.

(2) النساء، آية ١٧٤.

(3) الملاحق ص٢٢٠ ، وانظر: الكلمات، ص٨٣٢، والمكتوبات، ص٤٦٣ و ٤٧٦، والشعاعات، ص٩٥ و ١٨٠ و٢١٤ و ٢٢٥ و ٤٧٠ و ٥٠٣ و ٦٨٤ ، والمثنوي، ص١٥٦.

(4) الكلمات، ص١٩٥.

(5) اللمعات، ص٢١١، وسورة الأعراف الآية: ٣١.

(6) المكتوبات، ص٣٣٩.

ومثل هذا في رسائل النور كثير، وقد يذكر الآية أو الآيات في افتتاح الرسالة دون وجود صلة بين موضوع الرسالة والآية المذكورة في أولها، وقد تخلو بعض الرسائل من الافتتاح بآية، كما أنه كان يختم رسائله بآية أو آيات لها صلة بما تحدث عنه سابقاً أو تحتوي على دعاء، ومن الآيات التي كان يكثرُ من استعمالها في فواتح ونهايات رسائله قوله تعالى: ﴿سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴾[1]، وقوله: ﴿وإن من شيء إلا يُسبح بحمده﴾[2].

المبحث الأول

علوم القرآن في رسائل النور

يجدُ القارئ في رسائل النور عدداً من مباحث علوم القرآن متفرقة بين ثنايا الرسائل التي ألّفها النورسي بقصد الهداية والتذكير والإرشاد وإيقاظ الإيمان في النفوس، فلم يكن هدف الرسائل البحث في جزئيات علوم القرآن أو التفسير، ولكنه كان يذكر ما يلزم المقام أو يستدعي السياق ذكره منها، وفيما يلي مباحث علوم القرآن التي وجدتها في رسائل النور:

١- **تعريف القرآن:** حين أراد النورسي التعريف بالقرآن لم يذكر التعريف الشائع له. بل اتجه اتجاهاً مميزاً في ذلك، وذكر تعريفاً مطولاً، يفهم القارئ من خلاله إرادة النورسي توضيح مهمة القرآن ومنزلته العظيمة، ولفت الأنظار إلى محتوياته ووظيفته، وعباراته في هذا التعريف غاية في الدقة والجودة، ولذا سأوردها دون التعليق عليها، قال:

(١) البقرة، آية ٣٢، ومن اللطيف أن النورسي كان قد توقف في تفسيره (بإشارات الإعجاز) عند بداية هذه الآية.

(٢) الإسراء، آية ٤٤.

«هو الترجمة الأزلية لهذه الكائنات، والترجمان الأبدي لألسنتها التاليات للآيات التكوينية، ومفسّر كتاب العالم، وكذا هو كشاف لمخفيات كنوز الأسماء المستترة في صحائف السموات والأرض، وكذا هو مفتاح لحقائق الشؤون المسخرة في سطور الحادثات، وكذا هو لسان الغيب في عالم الشهادة، وكذا هو خزينة المخاطبات الأزلية السبحانية والالتفاتات الأبدية الرحمانية، وكذا هو أساس وهندسة وشمس لهذا العالم المعنوي الإسلامي، وكذا هو خريطة للعالم الأخروي، وكذا هو قول شارح وتفسير واضح وبرهان قاطع وترجمان ساطع لذات الله وصفاته وأسمائه وشؤونه، وكذا هو مرب للعالم الإنساني. وكالماء وكالضياء للإنسانية الكبرى التي هي الإسلامية، وكذا هو الحكمة الحقيقية لنوع البشر، وهو المرشد المهدي إلى ما خُلق البشر له، وكذا هو للإنسان كما أنه كتاب شريعة كذلك كتاب رحمة، وكما أنه كتاب دعاء وعبودية كذلك هو كتاب أمر ودعوة، وكما أنه كتاب ذكر كذلك هو كتاب فكر، وكما أنه كتاب واحد لكن فيه كتب كثيرة في مقابلة جميع حاجات الإنسان المعنوية، كذلك هو كمنزل مقدس مشحون بالكتب والرسائل، حتى إنه أبرز لمشرب كل واحد من أهل المشارب المختلفة، ولمسلك كل واحد من أهل المسالك المتباينة من الأولياء والصديقين، ومن العرفاء والمحققين رسالة لائقة لمذاق ذلك المشرب وتنويره، وللمساق ذلك المسلك وتصويره حتى كأنه مجموعة الرسائل.»[1].

٢- **فضائل القرآن:** قارن النورسي في عدد من المواضع في رسائله بين القرآن الكريم والكتب السماوية السابقة له، بهدف إظهار معجزته الخالدة وتفوقه وفضله الكبير عليها، واستشهد بنصوص متعددة منها تبشر ببعثة الرسول محمد ﷺ، ولم يفته التذكير بحصول التحريف فيها[2]. كما بين النورسي الفرق الواضح والبون الشاسع بين القرآن الكريم، وبين حكمة الفلاسفة وعباراتهم،

---

(١) المثنوي، ص ٦٩ و ٧٠، والمكتوبات، ص ٢٦٧، وإشارات الإعجاز، ص ٢٢ ، والكلمات، ص ٢٧٤، وفي ص ٤٢٢ بدل الجملة الأخيرة هنا : «حتى كأنه مجموعة الرسائل» جملة: «فهذا الكتاب السماوي أشبه ما يكون بمكتبة مقدسة مشحونة بالكتب».

(٢) الكلمات، ص ١٤٦-١٤٨ ، والمكتوبات، ص ٢٢٠ - ٢٢٤ ، والمثنوي، ص ٤٦٣.

obeikandi.com

وأن القرآن يتفوق على جميع عبارات الحكماء والفلاسفة بل إنه لا مجال للمقارنة بينهما أصلاً، ولكنه أراد أن يقنع قارئ رسائله الذي قد يكون متأثراً بكلام الحكماء والفلاسفة بالفرق الهائل بين «ثروة القرآن الطائلة وغناه الواسع في معرفة الله في ميدان العلم والحكمة، وإفلاس الفلسفة وفقرها المدقع في دروس العبرة والعلم بمعرفة الصانع الجليل»[1].

٣- **المكي والمدني:** تحدث النورسي عن الفرق بين أسلوب وبلاغة الآيات المكية والآيات المدنية، وعن الحكمة منه قائلاً: « أما حكمة اختلاف السور المكية عن المدنية من حيث البلاغة، ومن جهة الإعجاز، ومن حيث التفصيل والإجمال فهي على النحو الآتي:

إن الصف الأول من المخاطبين والمعارضين في مكة كانوا مشركي قريش، وهم أميون لا كتاب لهم، فاقتضت البلاغة أسلوباً عالياً قوياً وإجمالاً معجزاً مقنعاً، وتكراراً يستلزمه التثبيت في الأفهام، لذا بحثت أغلب السور المكية أركان الإيمان ومراتب التوحيد بأسلوب في غاية القوة والعلو، وبإيجاز في غاية الإعجاز، وكررت الإيمان بالله والمبدأ والمعاد والآخرة كثيراً، بل قد عبرت عن تلك الأركان الإيمانية في كل صحيفة أو آية، أو في جملة واحدة، أو كلمة واحدة، بل ربما عبرت عنها في حرف واحد، في تقديم وتأخير، في تعريف وتنكير، في حذف وذكر، فأثبتت أركان الإيمان في أمثال تلك الحالات والهيئات البلاغية إثباتاً جعل علماء البلاغة وأئمتها يقفون حيارى مبهورين أمام هذا الأسلوب المعجز.

أما الآيات المدنية وسورها، فالصف الأول من مخاطبيها ومعارضيها كانوا من اليهود والنصارى وهم أهل كتاب مؤمنون بالله، فاقتضت قواعد البلاغة وأساليب الإرشاد وأسس التبليغ أن يكون الخطاب الموجه لأهل الكتاب مطابقاً لواقع حالهم، فجاء بأسلوب سهل واضح سلس، مع بيان وتوضيح في الجزئيات - دون الأصول والأركان (الإيمانية) - لأن تلك الجزئيات هي منشأ الأحكام الفرعية والقوانين الكلية، ومدار الاختلافات في الشرائع والأحكام...

---

(1) الكلمات، ص ١٥١، وانظر ص ١٤١ - ١٥٠، والمكتوبات، ص٢٦٨ - ٢٧٠، والمثنوي ٤٥٦- ٤٥٧.

لذا فغالباً ما نجد الآيات المدنية واضحة سلسة بأسلوب بياني معجز خاص بالقرآن الكريم...»[1].

ففي هذا النص مقارنة بين الأسلوبين، وبيان ميزة كل من الآيات المكية والمدنية، ولم يقصد النورسي إجراء مقارنة شاملة بين المكي والمدني من الآيات، إنما اقتصر على أمر واحد هو : الأسلوب والبلاغة ، وقد أجاد في هذه المقارنة.

٤- **أسباب النزول:** النورسي مقلّ جداً من ذكر أسباب النزول، بل لم يذكر في رسائله إلا سبب نزول واحد في رسالة المعجزات الأحمدية، عند ذكره عدداً من الحوادث تدل على معجزة عصمة الله تعالى لرسوله ﷺ، وحفظه له من الناس مصداقاً لقوله تعالى : ﴿والله يعصمك من الناس﴾[2] قال: «الحادثة الرابعة: روى أئمة الحديث برواية مشهورة قريبة من التواتر، وذكر أكثر علماء التفسير أن سبب نزول الآية الكريمة : ﴿إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مقمحون * وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يُبصرون﴾[3] أن أبا جهل أقسم لئن أرى محمداً ساجداً لأضربنه بهذه الصخرة، فجاءه بصخرة وهو ساجد وقريش ينظرون ليطرحها عليه فلزقت بيده ويبست يداه إلى عنقه، وبعد أن أتم الرسول ﷺ صلاته انصرف، وانطلقت يد أبي جهل إما بدعائه ﷺ أو لانتفاء الحاجة»[4].

ولعل السبب في ذلك أن منهج النورسي في التعليق على الآيات، واستنباط وجوه الهداية والإعجاز، ولفت أنظار الناس إلى أهمية الإيمان وإيقاظه في نفوسهم، لم يكن يحتاج معه إلى الإكثار من إيراد أسباب النزول . والله أعلم.

---

(١) الشعاعات، ص ٣٠٨ و ٣٠٩.

(٢) المائدة، ص ٦٧.

(٣) يس، آية ٨ و ٩.

(٤) المكتوبات، ص٢١٣ ، وفي ص ٢١٨ أشار المحقق إلى صحة الرواية بسياق آخر رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٧٩٧)، أما هذا السياق فرواه ابن إسحاق وأبو نعيم في الدلائل والطبراني والقاضي عياض في الشفاء أ. هـ. قلت: والحادثة مذكورة في كتب التفسير بسياق قريب انظر الطبري ١٥٢/١٠ ، والقرطبي ٧/١٥، وأبا السعود ١٦١/٧.

obeikandi.com

٥- **ترجمة القرآن**: تعرض النورسي للحديث عن ترجمة القرآن في أكثر من موضع في رسائله، وكان يبين في هذه المواضع عدم إمكانية ترجمة القرآن ترجمة حرفية، وذكر في أحد المواضع عدداً من الآيات الكريمة التي لا يمكن ترجمتها حرفياً لما فيها من وجوه البلاغة في أعلى درجاتها. وقال: «فهل يمكن –يا ترى– ترجمة أمثال هذه الآيات الكريمة ترجمة حقيقية، لا شك أنها غير ممكنة، فإن كان ولا بد، فإما أن تُعطى معاني إجمالية مختصرة للآية الكريمة، أو يلزم تفسير كل جملة منها في حوالي ستة أسطر»[1]. وحين تناهى إلى سمعه دعوة أحد الخبثاء لترجمة القرآن انبرى للرد عليه وكشف ضلاله، وقد تحدث النورسي عن ذلك في خاتمة الشعاع الحادي عشر حيث قال: «طرق سمعي قبل اثنتي عشرة سنة، أن زنديقاً عنيداً، قد فضح سوء طويته وخبث قصده بإقدامه على ترجمة القرآن الكريم، فحاك خطة رهيبة للتهوين من شأنه بمحاولة ترجمته، وصرّح قائلاً: ليترجم القرآن لتظهر قيمته، أي ليرى الناس تكراراته غير الضرورية! ولتتلى ترجمته بدلاً منه! إلى آخره من الأفكار السامة، إلا أن رسائل النور بفضل الله قد شلت تلك الفكرة، وعقمت تلك الخطة بحججها الدامغة، وبانتشارها الواسع في كل مكان، فأثبتت إثباتاً قاطعاً أنه لا يمكن قطعاً ترجمة القرآن الكريم ترجمة حقيقية، وإن أية لغة غير اللغة العربية الفصحى عاجزة عن الحفاظ على مزايا القرآن الكريم ونكته البلاغية اللطيفة، وإن الترجمات العادية الجزئية التي يقوم بها البشر لن تحل –بأي حال– محل التعابير الجامعة المعجزة للكلمات القرآنية التي في كل حرف من حروفها حسنات تتصاعد من العشرة إلى الألف، لذا لا يمكن مطلقاً تلاوة الترجمة بدلاً منه »[2].

والنورسي في موقفه هذا ، موافق لجمهور العلماء الذين وقفوا أمام القول بترجمة القرآن ترجمة حرفية موقفاً صارماً يرى عدم إمكانية ذلك، مع إجازتهم ترجمة معاني الآيات[3].

---

(١) المكتوبات، ص ٥٠٥ ، وانظر ص ٤٣٩

(٢) الشعاعات، ص ٣١٥.

(٣) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، ١١٤/٢ والمعجزة الكبرى، محمد أبو زهرة، ص ٥٨٨ – ٥٩١.

٦- **إعجاز القرآن:** أفرد النورسي للحديث عن إعجاز القرآن (الكلمة الخامسة والعشرين) وسمّاها رسالة المعجزات القرآنية، كما تحدث عن الإعجاز في مواضع غير قليلة في رسائله، وجعل كتابه القيم **(إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز)** تفسيراً للقرآن الكريم يطبق من خلاله نظرية النظم تطبيقاً عملياً على الآيات؛ حيث يبين نظم الآية بما قبلها وما بعدها، ثم نظم الجمل في الآية، ثم نظم الكلمات والحروف في الجملة، إلا أنه توقف في تفسيره القيم هذا عند الآية الحادية والثلاثين من سورة البقرة ولم يتمه.

وقد تفاوتت عبارات النورسي في عدد أوجه إعجاز القرآن، ففي حين يذكر في بعض المواضع أنها عشرة[١]، يذكر في مواضع أخرى أنها سبعة[٢]، وفي غيرها أنها أربعون[٣] وفي مواضع أخرى أنها أكثر من ذلك[٤]، وبعد التأمل في هذه العبارات يمكن استخلاص أن النورسي حين يذكر أنها سبعة أو عشرة يقصد الوجوه العامة الرئيسة، وحين يذكر أنها أربعون يقصد بها الوجوه التفصيلية الدقيقة أو الفرعية المندرجة تحت الوجوه العامة، أما حين يذكر أنها مئات الوجوه أو لا تُعدُّ ولا تُحصى، يقصد أنواعاً فرعية غاية في الدقة واللطافة يمكن أن تندرج جميعاً تحت نوع واحد، وحين يتحدث النورسي عن وجوه الإعجاز الكلية يجعل أولها وأظهرها النظم القرآني البديع[٥].

وذهب النورسي إلى قضية (التناسق اللفظي والعددي) بين عدد من ألفاظ القرآن الكريم أحد وجوه إعجازه[٦]، إلا أن ما أورده النورسي في هذا الأمر لم يسلم من الإعتراض والمناقشة والتتبع بما يثبت عدم دقة الأرقام المذكورة فيه[٧]، ولذا فإني أرى أن لا يُعدُّ التناسق اللفظي والعددي من وجوه إعجاز القرآن.

---

(١) اللمعات، ص ٤٠.

(٢) إشارات الإعجاز، ص ٦٤، والكلمات، ص ٥٢٢.

(٣) الكلمات، ص ٥٣١ ، والمكتوبات، ص ٥٢٢.

(٤) اللمعات، ص ٤٩، والمكتوبات، ص ٥٢٢.

(٥) الكلمات ٨٨١، وإشارات الإعجاز، ص ٢٣ و ١١٣ و ١٧٩.

(٦) انظر: المكتوبات، ص ٢٤٠ - ٢٤٢ و ٤٨٩ و ٤٩٤ و ٥٢٢ - ٥٢٧.

(٧) يراجع بحثي : (آراء النورسي في وجوه إعجاز القرآن الكريم) مطبوع ضمن بحوث المؤتمر العالمي الثالث عن بديع الزمان سعيد النورسي.

وللنورسي بحث لطيف في معجزات الأنبياء السابقين فهو يراها تدعو إلى التأمل فيها والتعلم منها، واستلهام المخترعات والمكتشفات منها، والاجتهاد في الوسائل التي توصل إلى أشباهها[1]، ومن كلامه في توضيح هذه الفكرة قوله مثلاً ﴿ولسليمان الريح غدوُّها شهر ورواحُها شهر﴾[2] هذه الآية الكريمة تبين معجزة من معجزات سيدنا سليمان عليه السلام، وهي تسخير الريح له؛ أي أنه قد قطع في الهواء ما يقطع في شهرين في يوم واحد، فالآية تشير إلى أن الطريق مفتوح أمام البشر لقطع مثل هذه المسافة في الهواء، فيا أيها الإنسان، حاول أن تبلغ هذه المرتبة، واسعَ للدنو من هذه المنزلة ما دام الطريق ممهداً أمامك، فكأن الله سبحانه وتعالى يقول في معنى هذه الآية الكريمة: إن عبداً من عبادي ترك هوى نفسه فحملته فوق متون الهواء، وأنت أيها الإنسان، إن نبذت كسل النفس وتركته، واستفدت جيداً من قوانين سنتي الجارية في الكون يمكنك أيضاً أن تمتطي صهوة الهواء.

ومثلاً : ﴿فقلنا إضرب بعصاكَ الحجر فانفجرت منهُ اثنتا عشرة عيناً﴾[3] هذه الآية الكريمة تبين معجزة من معجزات سيدنا موسى عليه السلام، وهي تشيرُ إلى أنه يمكن الإستفادة من خزائن الرحمة المدفونة تحت الأرض بآلات بسيطة، بل يمكن تفجير الماء، وهو ينبوع الحياة، من أرض صلدة ميتة كالحجر بوساطة عصا، فهذه الآية تخاطب البشرية بهذا المعنى: يمكنكم أن تجدوا الماء الذي هو ألطف فيض من فيوضات الرحمة الإلهية بوساطة عصا، فاسعوا واعملوا بجد لتجدوه وتكشفوه، فالله سبحانه يخاطب الإنسان بالمعنى الرمزي لهذه الآية: «ما دمت أسلم بيد عبد يعتمد عليّ ويثق بي عصا، يتمكن بها أن يفجّر الماء أينما شاء، فأنت أيها الإنسان إن اعتمدت على قوانين رحمتي، يمكنك أيضاً أن تخترع آلة شبيهة بتلك العصا أو نظيرة لها، فهيا اسعَ لتجد تلك الآلة.... »[4].

---

(1) إشارات الإعجاز، ص ٢٣٨ ، والشعاعات، ص ٤٣١.
(2) سبأ، آية ١٢
(3) البقرة، آية ٦٠.
(4) الكلمات، ص ٢٨٠.

كما ذكر من معجزات الأنبياء السابقين : إبراء الأكمه والأبرص وتليين الحديد وإذابة النحاس، وإحضار الأشياء من مسافات بعيدة، وتسخير الجن والشياطين في أمور نافعة، وغيرها[1].

وبعد هذا العرض لمباحث علوم القرآن في رسائل النور يتبين لنا أن النورسي لم يذكر جميع مباحث علوم القرآن، حيث اكتفى منها بما يخدم هدف رسائله، وما تستدعي مادة كتابته أن يعرض له، ولذا أطال الحديث في إعجاز القرآن وفصل في الحديث عنه فهو أقرب مباحث علوم القرآن لموضوع رسائل النور، ويمكن بواسطته إقناع الكثيرين بعظمة القرآن وصلاحيته لجميع العصور، وكان النورسي حريصاً على بيان أن لكل طبقة من الناس حظها من الإعجاز[2]، ترغيباً للجميع أن يقبلوا على القرآن ويحملوا رايته ويكونوا من أهله العاملين بما فيه.

obeikandi.com

---

(1) الكلمات، ص ٢٨٦ - ٢٩٠.

(2) المكتوبات، ص ٢٣٨ - ٢٤٠.

المبحث الثاني

التفسير في رسائل النور

يمكن تقسيم المواضع التي عرض فيها النورسي لتفسير القرآن الكريم إلى قسمين:

الأول: المواضع التي تشتمل على تفسير خالص، قصد فيها تفسير سورة أو آيات، ولم يخالط كلامه في التفسير في هذه المواضع موضوعات أخرى، وهذه المواضع هي: كتاب إشارات الإعجاز، وتفسير سورة الفاتحة[1].

الثاني: المواضع التي تشتمل على التفسير وغيره، وقد يكون مقصوده الأول في هذه المواضع البحث في التفسير، إلا أنه يستطرد بذكر أمور أخرى تجعل التفسير جزءاً يسيراً منها. وقد يكون التفسير في هذه المواضع عارضاً بأن تذكر آية فيتم توضيحها، أو أن يستشهد بمعنى الآية على فكرة.

والنورسي لم يقصد تفسير القرآن آية آية، وإن كان قد شرع فيه في إشارات الإعجاز، إلا أنه اتجه بعد تفسير عدد قليل من الآيات اتجاهاً آخر، وانتقل إلى أسلوب مغاير تماماً، لم يلتزم فيه بتفسير ألفاظ القرآن الكريم كلها، أو بالسير على ترتيب المصحف في حديثه عن الآيات، ولكنه كان دائم الاستشهاد بها وهي محور جميع رسائل النور ومنطلق أفكارها، ولذا فقد كان النورسي دقيقاً حين عبر عن رسائله بأنها رشحات، ولمعات، وشعاعات، وقبسات من أنوار القرآن الكريم وفيوضاته .

وفي النقاط التالية أهمّ القضايا التي بحثها النورسي أو أكد عليها أو اعتنى بها في رسائله مما له علاقة بتفسير الآيات:

١- التزم النورسي في كتابه **«إشارات الإعجاز»** طريقة واحدة في التفسير فقد كان يبدأ بمقدمة يجعلها مدخلاً لتفسير الآية أو الآيات، وقد يتركها أحياناً، ثم يبين معنى الآية، وقد يقتصر على معنى واحد، وقد يذكر أقوالاً متعددة دون أن ينسبها إلى قائليها ولا يرجح بينها، واستعمل أسلوب الفنقلة في بعض المواضع،

---

(١) الشعاعات، ص ٦٤١ - ٦٥٣.

وقد يطيل الحديث في مباحث مقتبسة من الآية أو لها صلة بها، ثم يبين نظم الآية مع ما قبلها وما بعدها، ثم نظم الجمل في الآية، ثم نظم الكلمات والحروف في الجملة.

كل هذا بعبارات سلسة مترابطة، وأسلوب أخاذ مؤثر وحجة قوية دامغة.

٢- بحث النورسي في أكثر من موضع في خواتيم الآيات وسماها (فذلكة نهايات الآيات) والحكمة من وجودها، ودلالاتها فبين أولاً أن هذه الفذلكات أو الخلاصات «إما أنها تتضمن الأسماء الحسنى أو معناها، وإما أنها تحيل قضاياها إلى العقل وتحثه على التفكير والتدبر فيها، أو تتضمن قاعدة كلية من مقاصد القرآن فتؤيد بها الآية وتؤكدها»[1].

فقد تكون هذه الفذلكات تعقيباً على حادثة جزئية فرعية، تجعل من تلك الحادثة الجزئية قاعدة كلية عامة[2]، وقد تكون تعقيباً على أفعال الخلق التي لا تستحق إلا العقاب بذكر الرحمة تسلية وتأنيساً[3].

ثم ذكر أمثلة متعددة تؤكد ما قرره، وتبين للقارئ أهمية هذه الفذلكات ودورها الكبير في توضيح المراد.

وسأكتفي هنا بإيراد بعض أمثلته، فمنها قوله:

«إن القرآن قد يذكر الجزئيات المادية المعرضة للتغير، والتي تكون مناط مختلف الكيفيات والأحوال، ثم لأجل تحويلها إلى حقائق ثابتة يقيدها ويجملها بالأسماء الإلهية التي هي نورانية وكلية وثابتة، أو يأتي بخلاصة تسوق العقل إلى التفكر والاعتبار.

ومن أمثلة المعنى الأول ﴿وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين * قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا

---

(١) الكلمات، ص ٤٨٣.

(٢) الشعاعات، ص ٣٠٩ وانظر المثنوي، ص ٤١٠ و ٤٦٢.

(٣) المثنوي، ص ٣٣٩ و ٤٦٢، وفي رسالة المعجزات القرآنية عشر إشارات من إشارات كثيرة جداً لهذه الفذلكات أجاد فيها النورسي ومثل لها (انظر الكلمات، ص ٤٨٣ - ٥٠٠).

إنك أنت العليم الحكيم﴾[١] هذه الآية تذكر أولاً حادثة جزئية هي: أن سبب تفضيل آدم في الخلافة على الملائكة هو العلم، ومن بعد ذلك تذكر حادثة مغلوبية الملائكة أمام سيدنا آدم في قضية العلم، ثم تعقب ذلك بإجمال هاتين الحادثتين بذكر اسمين كليين من الأسماء الحسنى ﴿أنت العليم الحكيم﴾ بمعنى أن الملائكة يقولون: أنت العليم يا رب فعلّمت آدم فغلبنا، وأنت الحكيم فتمنحنا كل ما هو ملائم لاستعدادنا، وتفضله علينا باستعداداته.

ومن أمثلة المعنى الثاني : ﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين * ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً إن في ذلك لآية لقوم يعقلون * وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون * ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون* ﴾[٢] تعرض هذه الآيات الكريمة أن الله تعالى جعل الشاة والمعزى والبقر والإبل، وأمثالها من المخلوقات، ينابيع خالصة زكية لذيذة تدفق الحليب، وجعل سبحانه العنب والتمر وأمثالهما، أطباقاً من النعمة وجفاناً لطيفة لذيذة، كما جعل من أمثال النحل - التي هي معجزة من معجزات القدرة - العسل الذي فيه شفاء للناس إلى جانب لذته وحلاوته، وفي خاتمة المطاف تحث الآيات على التفكر والاعتبار، وقياس غيرها عليها بـ ﴿إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾ »[٣].

و«إن شئت فانظر إلى ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾، ﴿إن الله بكل شيء عليم﴾، ﴿وهو العزيز الحكيم﴾، ﴿وهو العزيز الرحيم﴾[٤]، وأمثالها من الآيات التي تفيد التوحيد وتذكّر بالآخرة، والتي تنتهي بها أغلب الآيات الكريمة، تر أن القرآن الكريم عند بيانه الأحكام الشرعية الفرعية، والقوانين الإجتماعية، يرفع نظر المخاطب إلى آفاق كلية سامية، فيبدل -بهذه الفواصل الختامية - ذلك

---

(١) البقرة، آية ٣١ و ٣٢.

(٢) النحل، آية ٦٦ - ٦٩.

(٣) الكلمات، ص ٤٨٩.

(٤) من مواضعها : البقرة، آية ٢٠ ، الأنفال، آية ٧٥، إبراهيم، آية ٤، الروم، آية ٥ على الترتيب.

obeikandi.com

الأسلوب السهل الواضح السلس أسلوباً عالياً رفيعاً، كأنه ينقل القارئ من درس الشريعة إلى درس التوحيد. فيثبت أن القرآن كتاب شريعة وأحكام وحكمة، كما هو كتاب عقيدة وإيمان، وهو كتاب ذكر وفكر كما هو كتاب دعاء ودعوة، »[1]....

وكلام النورسي هذا يدل على علم غزير، وتأمل دقيق في الآيات، وفهم جليل للحكمة من تذييل الآيات بتلك الفذلكات، وهو أمر قل أن يتنبه إليه المفسرون أو أن يلتفتوا إليه، وقد توجد إشارات منه عند بعضهم كالبقاعي والألوسي وغيرهما.

٣- حرص النورسي على أن يَردَّ على الشبه والإشكالات التي تثار على الآيات، وعلى التوفيق بين موهم الخلاف والتناقض بين الآيات، بردود قوية مفحمة عميقة لا تبقي لتلك الشبه أو التوهمات أي بقية، وتقتلعها من جذورها ومن الشبه التي حرص النورسي على ردّها: زعم أن التكرار في الآيات القرآنية نقص في بلاغته، فبيّن في رده أن تكرار بعض الأمور في القرآن له حكم وفوائد عظيمة. وأن ما قد يتوهمه بعضهم من تكرار ليس كذلك لاختلاف أحكام الآيات ومقاصدها، وإليك كلامه عن التكرار في أحد المواضع:

«إعلم، أن القرآن لأنه كتاب ذكر، وكتاب دعاء، وكتاب دعوة، يكون تكراره أحسن وأبلغ بل ألزم، وليس كما ظنه القاصرون؛ إذ الذكر يُكرر، والدعاء يُردد، والدعوة تُؤكد؛ إذ في تكرير الذكر تنوير، وفي ترديد الدعاء تقرير، وفي تكرار الدعوة تأكيد.

وإعلم أنه لا يمكن لكل أحد في كل وقت قراءة تمام القرآن الذي هو دواء وشفاء لكل أحد في كل وقت، فلهذا أدرج الحكيم الرحيم أكثر المقاصد القرآنية في أكثر سوره؛ لا سيما الطويلة منها، حتى صارت كل سورة قرآناً صغيراً، فسهّل السبيل لكل أحد، دون أن يحرم أحداً، فكرر التوحيد والحشر وقصة موسى عليه السلام.

---

(١) الشعاعات، ص ٣٠٩.

obeikandi.com

إعلم أنه كما أن الحاجات الجسمانية مختلفة في الأوقات، كذلك الحاجات المعنوية الإنسانية أيضاً مختلفة في الأوقات، فإلى كل قسم في كل آن كـ (هو الله) للروح - كحاجة الجسم إلى الهواء- وإلى قسم في كل ساعة كـ (بسم الله) وهكذا فقس، فتكرار الآيات والكلمات إذن للدلالة على تكرار الاحتياج، وللإشارة إلى شدة الاحتياج إليها، ولتنبيه عرق الاحتياج وإيقاظه ، وللتشويق على الاحتياج، ولتحريك اشتهاء الاحتياج إلى تلك الأغذية المعنوية.

إعلم أن القرآن مؤسس لهذا الدين العظيم المتين، وأساسات لهذا العالم الإسلامي، ومقلب لاجتماعيات البشر ومحولها ومبدلها، وجواب لمكررات أسئلة الطبقات المختلفة للبشرية بألسنة الأقوال والأحوال، ولا بد للمؤسس من التكرير للتثبيت، ومن الترديد للتأكيد، ومن التكرار للتقرير والتأييد.

إعلم أن القرآن يبحث عن مسائل عظيمة ويدعو القلوب إلى الإيمان بها، وعن حقائق دقيقة ويدعو العقول إلى معرفتها، فلا بدّ لتقريرها في القلوب وتثبيتها في أفكار العامة من التكرار في صور مختلفة وأساليب متنوعة.

اعلم أن لكل آية ظهراً وبطناً وحداً ومطلعاً[1]، ولكل قصة وجوهاً وأحكاماً وفوائد ومقاصد، فتذكر في موضع لوجه، وفي آخر لأخرى، وفي سورة لمقصد وفي أخرى لآخر، وهكذا، فعلى هذا لا تكرار إلا في الصورة»[2].

وردّ النورسي على شبهة أن القرآن يذكر قصصاً وحوادث جزئية مثل قصة ذبح البقرة، فما الداعي لذكرها وهي مجرد قصة قديمة وحادثة جزئية، وقد ذكرت في القرآن ضمن هالة من الأوصاف حتى تسمت السورة باسم البقرة، وبعد أن ردّ على شبهة قصة البقرة بالذات قرر قاعدة عامة للقصص الأخرى التي يمكن أن تشبهها، وفيما يلي كلامه في الرد على هذه الشبهة:

---

(1) الكلمات، ص ٤٥١، والملاحق، ص ٦٠.
ورد في هامش الكلمات، ص٤٥١، والملاحق، ص ٦٠ أن هذه العبارة جزء من قيمة حديث (أنزل القرآن على سبعة أحرف) في رواية عند الطبراني بنص : لكل حرف منها ظهر وبطن، ولكل حرف حد ولكل حد مطلع (باختصار عن كشف الخفاء، ٢٠٩/١). إنتهى، وقد حكم المحدث أحمد محمد شاكر على رواية الطبري لهذا الحديث بالضعف، وفي الرواية لكل حرف وليس «لكل آية» (ر: تفسير الطبري بتحقيق محمود محمد شاكر، وتخريج أحمد محمد شاكر ٢٢/١).

(2) المكتوبات، ص ٢٦٧ و ٢٦٨ ، وانظر الكلمات، ص ٢٦٥، والشعاعات، ص ٣٠٢ - ٣٠٨ و ٣١٣، والمثنوي، ص ٧٠ و ١٩٠.

«من المعلوم أن أراضي مصر جرداء قاحلة؛ إذ هي جزء من الصحراء الكبرى، إلا أنها تدرّ محاصيل وفيرة ببركة نهر النيل، حتى غدت كأنها مزرعة تجود بوفير المحاصيل، لذا فإن وجود مثل هذه الجنة الوارفة بجنب تلك الصحراء التي تستطير ناراً جعل الزراعة والفلاحة مرغوبة فيها لدى أهل مصر، حتى توغلت في طبائعهم، بل أضفت تلك الرغبة الشديدة في الزراعة نوعاً من السمو والقدسية، كما أضفت بدورها قدسية على واسطة الزراعة من ثور وبقر، حتى بلغ الأمر أن منح أهل مصر -في ذلك الوقت- قدسية على البقر والثور إلى حد العبادة، وقد ترعرع بنو إسرائيل في هذه المنطقة وبين أحضان هذه البيئة والأجواء، فأخذوا من طبائعهم حظاً، كما يفهم من حادثة «العجل» المعروفة. وهكذا يعلمنا القرآن الكريم بذبح بقرة واحدة أن سيدنا موسى عليه السلام قد ذبح برسالته مفهوم عبادة البقر، ذلك المفهوم الذي سرى في عروق تلك الأمة، وتنامى في استعداداتهم، فالقرآن الكريم إنما يبين بهذه الحادثة الجزئية بياناً معجزاً، دستوراً كلياً ، ودرساً ضرورياً في الحكمة يحتاجه كل أحد في كل وقت.

فافهم قياساً على هذا أن الحوادث الجزئية المذكورة في القرآن الكريم على صورة حوادث تأريخية، إنما هي طرف وجزء من دساتير كلية شاملة ينبئ عنها... »[1].

كما رد النورسي على شبهة أثارها بعض الملحدين بقولهم : إلى متى نرفع أكفنا وندعو، وهو على كل شيء قدير؟ أي أنهم يشككون بقدرة الله تعالى وقد كان ردّ النورسي على هذه الشبهة بإثبات عظمة الله تعالى من خلال التدبر في آياته الكونية وفي خلقه مفتتحاً الرد بقوله سبحانه ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾[2]، وقد أطال النورسي في الرد[3]، مظهراً من خلاله التناسق الجميل، والتوافق التام بين كتاب الله المسطور، وكتاب الله المنظور.

---

(1) الكلمات، ص ٢٦٩ - ٢٧١.

(2) فصلت، ص ٥٣.

(3) الكلمات، ص ٧٨٢ - ٨٣٣ الكلمة الثالثة والثلاثون، وهي المكتوب الثالث والثلاثون أيضاً، وتتكون من ثلاث وثلاثين نافذة، كان اختيار النورسي لهذا الرقم تبركاً بالأذكار التي تأتي عقب الصلوات الخمس.

ورد النورسي على شبهة تتعلق بحادثة انشقاق القمر المذكورة في قوله تعالى: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾[1] إذ جنح قوم إلى إنكارها بقولهم: لو كان الانشقاق قد حدث فعلاً لعرفه العالم ولذكرته كتب التاريخ كلها.

وكان جواب النورسي على هذه الشبهة قوياً ومباشراً، لم يدع فيه مجالاً لمرتاب ولا حجة لطاعن، قال فيه: «إن إنشقاق القمر معجزة لاثبات النبوة، وقعت أمام الذين سمعوا بدعوة النبوة وأنكروها، وحدثت ليلاً في وقت تسود فيه الغفلة، وأظهرت آنياً، فضلاً عن أن اختلاف المطالع ووجود السحاب والغمام وأمثالها من الموانع تحول دون رؤية القمر، علماً أن أعمال الرصد ووسائل الحضارة لم تكن في ذلك الوقت منتشرة، لذا لا يلزم أن يرى الانشقاق كل الناس، في كل مكان، ولا يلزم أيضاً أن يدخل كتب التاريخ...

ثم إنه في ذلك الوقت: كانت سحب الجهل تغطي سماء إنكلترا، والوقت على وشك الغروب في أسبانيا، وأمريكا في وضح النهار، والصباح قد تنفس في الصين واليابان، وفي غيرها من البلدان هناك موانع أخرى للرؤية فلا تشاهد هذه المعجزة العظيمة فيها، فإذا علمت هذا فتأمل في كلام الذي يقول: «إن تاريخ إنكلترا والصين واليابان وأمريكا وأمثالها من البلدان لا تذكر هذه الحادثة، إذن لم تقع!» أي هذر هذا.. ألا تباً للذين يقتاتون على فتات أوروبا»[2]. كما رد النورسي على شُبَهٍ أخرى أثيرت حول القرآن الكريم[3]. أما التوفيق بين موهم الخلاف من الآيات، فقد عرض له النورسي في مواضع محدودة من رسائله، ومن ذلك توفيقه بين قوله تعالى : ﴿ولقد كرّمنا بني آدم﴾[4]، وقوله ﴿إنه كان ظلوماً جهولاً﴾[5]، ببيان اختلاف طبائع البشر واستعداداتهم، فمنهم

---

(1) القمر، آية ١.

(2) الكلمات، ص ٧٠٢ و ٧٠٤ والمكتوبات، ص ٢٧١ و ٢٧٣.

(3) انظر : الكلمات، ص ٢٩٣ و ٥٨٥ و ٧٢٨ و ٧٣٧، والمكتوبات، ص ٤٠١ و ٤٠٧، والشعاعات، ص ٢٩٤، وإشارات الإعجاز ٢٢٣، والمثنوي، ص ٤٠١.

(4) الإسراء، آية ٧٠.

(5) الأحزاب، آية ٧٢.

من يرقى بخصاله الحميدة حتى يبلغ مرتبة الأنبياء والصديقين، ومنهم من يرضى بإلحاق الضرر بآلاف الناس في سبيل منفعة ذاتية، وكل إنسان جاهل كل ما يخص الحياة ويلزمها، ومضطر إلى تعلم كل شيء فهو (جهول) لأنه محتاج إلى ما لا يجد من الأشياء...»[١].

٤- كان النورسي يميل إلى القول بجميع ما تحتمله الآية من معانٍ، وهذا واضح في عدد من المواضع في رسائله، فأثناء حديثه عن قوله تعالى: ﴿مرج البحرين يلتقيان * بينهما برزخ لا يبغيان﴾[٢] بيّن جواز جميع ما تحتمله من معان : «ابتداءً من بحر الربوبية في دائرة الوجوب، وبحر العبودية في دائرة الإمكان، وانتهاءً إلى بحري الدنيا والآخرة، وإلى بحري عالم الشهادة وعالم الغيب، وإلى البحار المحيطة في الشرق والغرب، وفي الشمال والجنوب، إلى بحر الروم وبحر فارس، والبحر الأبيض والأسود - وإلى المضيق بينهما الذي يخرج منه السمك المسمى بالمرجان - وإلى البحر الأبيض والبحر الأحمر وقناة السويس، وإلى بحار المياه العذبة والمالحة، وإلى بحار المياه الجوفية العذبة المتفرقة، والبحار المالحة التي على ظهر الأرض المتصل بعضها ببعض، وما يسمى بالبحار الصغيرة العذبة من الأنهار الكبيرة كالنيل ودجلة والفرات، والبحار المالحة التي يختلط معها.

كل هذه الجزئيات موجودة ضمن معاني تلك الآية الكريمة، وجميع هذه الجزئيات تصح أن تكون مرادة ومقصودة، فهي معان حقيقية للآية الكريمة ومعان مجازية»[٣].

وعند تأمله في إطلاق لفظ (الصالحات) في القرآن الكريم دون تقييده بعمل أو قول معين، تبين له أن هذا الإطلاق مقصوده حمل اللفظ على أعم معانيه، وأن كل عمل صالح يندرج تحت هذا اللفظ، إلا أن الحكم على عمل ما بأنه صالح أوغير صالح أمر نسبي، يحصل فيه الاختلاف بسبب تغير المكان والزمان

---

(١) المكتوبات، ص ٤٢٦، ٤٢٧، وانظر الكلمات، ص ٢١٤ و ٢١٦.

(٢) الرحمن، آية ١٩و ٢٠.

(٣) المكتوبات، ص ٤٢٢ و ٤٢٣.

obeikandi.com

والجهة والصنف، ولما كان القرآن الكريم خطاباً إلهياً شاملاً لجميع طبقات الجن والإنس ولكل العصور، والأحوال والظروف كافة، «وحيث أن الحسن النسبي والخير النسبي كثير جداً، فإن إطلاق القرآن إذن في (الصالحات) إيجاز بليغ لإطناب طويل، وإن سكوته عن بيان أنواع الصالحات كلام واسع»[١].

إلا أن النورسي اقتصر في مواضع من رسائله على معنى واحد مما يمكن أن تحتمله الآية ولم يذكر غيره، وذلك لأن هذا المعنى هو الذي يرجحه، وهو الذي يوصل إلى المعنى الذي يريده، أو يناسب سياق كلامه، مثال ذلك أنه عندما قارن بين ما ورد في القرآن الكريم من صفة الصحابة الكرام، وما ورد في التوراة والإنجيل من صفتهم اقتصر في تفسير قوله تعالى لـ ﴿والذين معه﴾[٢] انها تدل على أبي بكر الصديق، و﴿أشداء على الكفار﴾ تدل على عمر، و﴿رحماء بينهم﴾ تدل على عثمان، و﴿تراهم ركعاً سجداً...﴾ تشير إلى علي، فالآية تشير إلى ترتيب الخلفاء الذين سيخلفون مقام النبي ﷺ بعد وفاته، كما تشير إلى أبرز صفة خاصة بكل منهم مما اشتهروا به[٣].

فالنورسي هنا لم يحمل المعنى على العموم بل اقتصر على ما يراه موصلاً إلى ما يريد في هذا الموضع. كما اقتصر في تفسير ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القُربى﴾[٤] على قول واحد فقط هو : إلا محبة آل بيت النبي ﷺ[٥].

ومن أمثلة اختيار النورسي للمعنى الذي يراه أرجح والتأكيد عليه دون سواه، قوله في تفسير الآية ﴿يطوف عليهم ولدان مخلدون﴾[٦] بأن هؤلاء الولدان الأطفال الذين توفوا قبل البلوغ، ولم يكونوا يؤدون الفرائض الشرعية ندباً –حيث لم تفرض عليهم– أما الأطفال الذين توفوا قبل البلوغ وكانت

---

(١) صيقل الإسلام، ص ٣٣٤.

(٢) الفتح، آية ٢٩.

(٣) اللمعات، ص٤٢ و٤٣، وانظر في الأقوال الأخرى في معنى الآية: زاد المسير، ابن الجوزي، ٧/٤٤٥ و٤٤٦.

(٤) الشورى، آية ٢٣.

(٥) اللمعات، ص٣١ وانظر في الأقوال الأخرى في معنى الآية : زاد المسير لابن الجوزي ٧/٢٨٤ و ٢٨٥.

(٦) الواقعة، آية ١٧.

obeikandl.com

أعمارهم بين السابعة والبلوغ، وكانوا يؤدون الفرائض ندباً سيكونون في الثالث والثلاثين من العمر ليجازوا كالكبار الملتزمين بالدين[1].

واقتصار النورسي على هذا المعنى دون غيره ليحث الآباء على الاعتناء بأبنائهم وترغيبهم في أداء الفرائض وهم دون البلوغ، ولحث الأبناء على الالتزام بأداء الفرائض ابتداءً من سن السابعة لينشأوا على الالتزام وحب العبادة والتمسك بها.

٥- للنورسي استنباطات لطيفة من الآيات، وتعليقات جميلة عليها، واختيارات في معنى الآية، وخواطر شخصية وانفعالات، كل هذا ضمن عبارات وأسلوب شيق، وقد وجدت في رسائل النور مواضع كثيرة يمكن التمثيل بها لتأكيد هذه النقطة، وسأحاول الاختيار من بينها مع الإحالة إلى رسائل النور في باقيها.

أ) عند حديث النورسي عن الجزالة الخارقة في نظم القرآن، أورد مثالين لبيان نظم الكلمات المتعانقة لكل جملة والتي لا يصلح مكانها غيرها بتناسق وتكامل.

«المثال الأول: قوله تعالى : ﴿ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك﴾[2] هذه الجملة مسوقة لإظهار هول العذاب، ولكن بإظهار التأثير الشديد لأقله، ولهذا فإن جميع هيئات الجملة التي تفيد التقليل تنظر إلى هذا التقليل وتمده بالقوة كي يظهر الهول: فلفظ ﴿لئن﴾ هو للتشكيك، والتشكيك يوحي القلة، ولفظ (مس) هو إصابة قليلة، يفيد القلة أيضاً، ولفظ (نفحة) مادته رائحة قليلة، فيفيد القلة، كما أن صيغته تدل على واحدة، أي واحدة صغيرة، كما في التعبير الصرفي –مصدر المرة– فيفيد القلة، وتنوين التنكير في (نفحة) هي لتقليلها، بمعنى أنها شيء صغير إلى حدّ لا يعلم فينكر، ولفظ (من) هو للتبعيض، بمعنى جزء، فيفيد القلة، ولفظ (عذاب) هو نوع خفيف من الجزاء بالنسبة إلى النكال والعقاب، فيشير إلى القلة، ولفظ (ربك) بدلاً من : القهار، الجبار، المنتقم، فيفيد القلة أيضاً، وذلك بإحساسه الشفقة والرحمة. وهكذا تفيد الجملة أنه:

---

(١) الملاحق، ص ٣٤٧. وانظر الإشارة إلى هذا القول في الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢٠٣/١٧.

(٢) الأنبياء، آية ٤٦.

إذا كان العذاب شديداً ومؤثراً مع هذه القلة، فكيف يكون هول العقاب الإلهي؟ فتأمل في الجملة لترى كيف تتجاوب الهيئات الصغيرة، فيعين كل الآخر، فكل يمد المقصد بجهته الخاصة. هذا المثال الذي سقناه يلحظ اللفظ والمقصد.

المثال الثاني: قوله تعالى : ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾[1] فهيئات هذه الجملة تشير إلى خمسة شروط لقبول الصدقة.

- **الشرط الأول:** المستفاد من (من) التبعيضية في لفظ (مما) أي: أن لا يبسط المتصدق يده كل البسط فيحتاج إلى الصدقة.
- **الشرط الثاني :** المستفاد من لفظ (رزقناهم)؛ أي: أن لا يأخذ من زيد ويتصدق على عمرو، بل يجب أن يكون من ماله بمعنى : تصدقوا مما هو رزق لكم.
- **الشرط الثالث:** المستفاد من لفظ (نا) في (رزقنا) أي: أن لا يمن فيستكثر، أي لا منة لكم في التصدق، فأنا أرزقكم، وتنفقون من مالي على عبدي.
- **الشرط الرابع:** المستفاد من (ينفقون) أي: ينفق على من يضعه في حاجاته الضرورية ونفقته، وإلا فلا تكون الصدقة مقبولة على من يصرفها في السفاهة.
- **الشرط الخامس:** المستفاد من (رزقناهم) أيضاً؛ أي يكون التصدق باسم الله؛ أي: المال مالي، فعليكم أن تنفقوه باسمي.

ومع هذه الشروط هناك تعميم في التصدق؛ إذ كما أن الصدقة تكون بالمال تكون بالعلم أيضاً، وبالقول والفعل والنصيحة كذلك، وتشير إلى هذه الأقسام كلمة (ما) التي في (مما) بعموميتها، وتشير إليها في هذه الجملة بالذات، لأنها مطلقة تفيد العموم، وهكذا تفيد هذه الجملة الوجيزة -التي تفيد الصدقة- إلى عقل الإنسان خمسة شروط للصدقة مع بيان ميدانها الواسع وتشعرها بهيئاتها...»[2].

---

(1) البقرة، آية ٣

(2) الكلمات، ص ٤٢٦ - ٤٢٨ ، وانظر إشارات الإعجاز، ص ٤٥ و ٥٣، وصيقل الإسلام، ص ١٠٢.

ب) ذاق النورسي حلاوة طعم قوله تعالى : ﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾[1] في وقت كان يعاني فيه من ألوان الغربة، وأنواع المرض، وصراع بين نفسه التواقة للبقاء وعجزه وفقره، وإذا بهذه الآية الكريمة تمده من أنوارها ومراتبها القيمة بما يزيل كربه ويكشف غمه، وكتب عن تأملاته في هذه الآية وتبدل شعوره بسببها كلاماً جميلاً استوعب الشعاع الرابع[2].

جـ) للنورسي تعليق لطيف على قوله تعالى : ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خيرٍ محضراً وما عملت من سوءٍ تودُّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً، ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد﴾[3] من خلال وقائع حصلت له ولعدد من إخوانه وأتباعه استخلص منها، أنه كلما انشغل هو أو غيره بخاصة نفسه وترك خدمة القرآن أتاه تحذير من الله، على صورة لطمة تأديب رحيمة أو صفعة عتاب رؤوفة ، فيسرع بجد لخدمة القرآن مرة أخرى، ولما أراد أن يذكر الأمثلة لتأييد كلامه بدأ بنفسه قال: «فالأول منهم هو هذا المسكين.. سعيد، فكلما انشغلت بما يعود خاصة نفسي بما يفتر عملي للقرآن، أو انهمكت في أموري الخاصة، وقلت: ما لي وللآخرين، أتاني التحذير وجاءتني اللطمة، لذا بت على يقين من أن هذه العقوبة لم تنزل إلا نتيجة إهمالي وفتوري في خدمة القرآن، لأنني كنت أتلقى اللطمة بخلاف المقصد الذي ساقني إلى الغفلة، ثم بدأنا مع الأخوة المخلصين نتابع الحوادث ونلاحظ التنبيهات الربانية، والصفعات التي نزلت بإخوتي الآخرين، فأمعنا النظر فيها، وتقصينا كلاً منها، فوجدنا أن اللطمة قد أتتهم مثلي حيثما أهملوا العمل للقرآن، وتلقوها بضد ما كانوا يقصدونه، لذا حصلت لدينا القناعة التامة بأن تلك الحوادث والعقوبات إنما هي كرامة من كرامات خدمة القرآن ... »[4]، ثم ذكر أنه كلما انشغل بخدمة القرآن وتعليمه لم يتعرض للأذى والملاحقة، وكلما فكر بأمر نفسه وترك إفادة غيره تعرض للنفي أو للمراقبة والتضييق «وكنت فيها – أي بارلا– كلما أصابني الفتور في العمل للقرآن، واستولى عليَّ التفكير بخاصة نفسي وإصلاح آخرتي، كان أحد

---

(1) آل عمران، آية ١٧٣.

(2) الشعاعات، ص ٦٨ – ١٠١.

(3) آل عمران، آية ٣٠.

(4) اللمعات، ص ٦٧.

ثعابين أهل الدنيا يتسلط عليّ، وأحد المنافقين يتعرض لي..»[1] ثم ذكر حوادث مماثلة تعرض لها إخوانه في خدمة القرآن[2]. وختم كلامه بالإجابة على تساؤل يقول: «إنك تعدُّ المصائب التي تصيب إخوانك الخواص وأصدقاءك تأديباً ربانياً ولطمة عتاب لفتورهم عن خدمة القرآن، بينما الذين يعادون خدمة القرآن ويعادونكم يعيشون في بحبوحة من العيش، وفي سلام وأمان، فَلِمَ يتعرض صديق القرآن للطمة، ولا يتعرض عدوه لشيء؟

الجواب: يقول المثل الحكيم : (الظلم لا يدوم والكفر يدوم) فأخطاء العاملين في صفوف خدمة القرآن هي من قبيل الظلم تجاه الخدمة، لذا يتعرضون بسرعة للعقاب ويجازون بالتأديب الرباني، فإن كانوا واعين يرجعون إلى صوابهم.

أما العدّو فإن صدوده عن القرآن وعداءه لخدمته؛ إنما هو لأجل الضلالة، وإن تجاوزه على خدمة القرآن – سواء شعر به أم لم يشعر– إنما هو من قبيل الكفر والزندقة، وحيث أن الكفر يدوم، فلا يتلقى معظمهم الصفعات بذات السرعة، إذ كما يعاقب من يرتكب أخطاء طفيفة في القضاء أو الناحية، بينما يساق مرتكبو الجرائم الكبيرة إلى محاكم الجزاء الكبرى، كذلك الأخطاء الصغيرة والهفوات التي يرتكبها أهل الإيمان، وأصدقاء القرآن، يتلقون على إثرها جزاءً من العقاب بسرعة في الدنيا ليكفّر عن سيئاتهم ويتطهروا منها، أما جرائم أهل الضلالة فهي كبيرة وجسيمة إلى حد لا تسع هذه الحياة الدنيا القصيرة عقابهم، فيمهلون إلى عالم البقاء والخلود، وإلى المحكمة الكبرى، لتقتص منهم العدالة الإلهية القصاص العادل، لذا لا يلقون غالباً عقابهم في هذه الدنيا.

وفي الحديث الشريف : «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»[3] إشارةٌ إلى هذه الحقيقة التي ذكرناها؛ أي أن المؤمن ينال نتيجة تقصيراته قسماً من جزائه

---

(1) اللمعات، ص ٦٨.

(2) اللمعات، ص ٦٩ – ٧٨.

(3) رواه مسلم (حديث رقم ٢٩٥٩) «رقمه٢٩٥٦ بترقيم محمد فؤاد عبدالباقي ٢٢٧٢/٤»، والترمذي (٢٣٢٤) «هـ دار الحديث بالقاهرة، تحقيق: أحمد محمد شاكر ورفاقه، ٥٦٢/٤» وابن ماجة (٤١١٣) «ط دار المعرفة/ بيروت، ٤٢٨/٤، وفي صحيح سنن ابن ماجه للألباني رقمه ٣٣٢١»، وأحمد (٤٨٥/٢) «في ط دار الفكر رقمه ٨٢٩٦، ٢١٠/٣ تحقيق: عبدالله الدرويش» كما في هامش صفحة ٧٩ من اللمعات ما بين القوسين الصغيرين إضافة مني.

obeikandi.com

في الدنيا، فتكون بحقه كأنها مكان جزاء وعقاب، فضلاً عن أن الدنيا بالنسبة لما أعده الله له من نعيم الآخرة سجن وعذاب، أما الكفار فلأنهم مخلّدون في النار، ينالون قسماً من ثواب حسناتهم في الدنيا، وتُمهل سيئاتهم العظيمة إلى الآخرة الخالدة، فتكون الدنيا بالنسبة لهم دار نعيم لما يلاقونه من عذاب الآخرة، وإلا فالمؤمن يجد من النعيم المعنوي في هذه الدنيا ما لا يناله أسعد إنسان، فهو أسعد بكثير من الكافر من زاوية نظر الحقيقة، وكأن إيمان المؤمن بمثابة جنة معنوية في روحه، وكفر الكافر يستعر جحيماً في ماهيته»[1].

د) للنورسي تأمل لطيف في سبب إثبات التاء في ﴿قالت الأعراب﴾[2]، وحذفها في ﴿وقال نسوة﴾[3]، وكان حديثه في تعليل ذلك ضمن إجابته على تساؤل حول اختلاف أهل الحق والعلم في حين يتفق أهل الدنيا والغفلة والضلالة، مع أن الاتفاق من شأن أهل الوفاق، والخلاف ملازم لأهل النفاق والشقاق.

ويُلمح في إجابته على هذا السؤال حرصه العظيم غلى وحدة أهل الحق، ودعوته الحارة إليهم؛ أن يتمسكوا بكتابهم، ويوحدوا صفهم، ويتركوا هوى نفوسهم، وأجدني مضطراً هنا لنقل كلامه بطوله لئلا يؤدي تصرفي فيه إلى الإخلال به، والإنقاص من جميل عبارته، قال:

«إن اختلاف أهل الهداية وعدم اتفاقهم ليس نابعاً من ضعفهم، كما أن الاتفاق الصارم بين أهل الضلالة ليس نابعاً من قوتهم، بل إن عدم اتفاق أهل الهداية ناجم عن عدم شعورهم بالحاجة إلى القوة، لما يمدهم به إيمانهم الكامل من مرتكز قوي، وإن اتفاق أهل الغفلة والضلالة ناجم عن الضعف والعجز، حيث لا يجدون في وجدانهم مرتكزاً يستندون إلى قوته، فلفرط احتياج الضعفاء إلى الاتفاق تجدهم يتفقون اتفاقاً قوياً، ولضعف شعور الأقوياء بالحاجة إلى الاتفاق يكون اتفاقهم ضعيفاً، مثلهم في هذا كمثل الأسود والثعالب التي لا

---

(١) اللمعات، ص ٧٨ و ٧٩.

(٢) الحجرات، آية ١٤.

(٣) يوسف، آية ٣٠

obeikandl.com

تشعر بالحاجة إلى الاتفاق فتراها تعيش فرادى، بينما الوعل والماعز الوحشي تعيش قطعاناً خوفاً من الذئاب أي أن جمعية الضعفاء والشخص المعنوي الممثل لهم قوي، كما أن جمعية الأقوياء والشخص المعنوي الممثل لهم ضعيف[1]، وهناك إشارة لطيفة إلى هذا السر في نكتة قرآنية ظريفة، وهي أنه أسند الفعل قال بصيغة المذكر إلى جماعة الإناث مع كونها مؤنثة مضاعفة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وقال نسوة في المدينة﴾ بينما جاء الفعل قالت بصيغة المؤنث في قوله تعالى: ﴿قالت الأعراب﴾ وهم جماعة من الذكور، مما تشير إشارة لطيفة إلى أن جماعة النساء الضعيفات اللطيفات تتخاشن وتتقوى وتكسب نوعاً من الرجولة، فاقتضت الحال صيغة المذكر ، فجاء فعل «قال» مناسباً وفي غاية الجمال، أما الرجال الأقوياء فلأنهم يعتمدون على قوتهم ولا سيما الأعراب البدويون فتكون جماعتهم ضعيفة، كأنها تكسب نوعاً من خاصية الأنوثة من توجس وحذر ولطف ولين، فجاءت صيغة التأنيث للفعل ملائمة جداً في قوله تعالى: ﴿قالت الأعراب﴾.

نعم، إن الذين ينشدون الحق لا يرون وجه الحاجة إلى معاونة الآخرين لما يحملون في قلوبهم من إيمان قوي؛ يمدهم بسند عظيم ويبعث فيهم التوكل والتسليم، حتى لو احتاجوا إلى الآخرين فلا يتشبثون بهم بقوة، أما الذين جعلوا الدنيا همهم، فلغفلتهم عن قوة استنادهم ومرتكزهم الحقيقي يجدون في أنفسهم الضعف والعجز في إنجاز أمور الدنيا، فيشعرون بحاجة ملحة إلى من يمد لهم يد التعاون، فيتفقون معهم اتفاقاً جاداً لا يخلو من تضحية وفداء.

وهكذا، فلأن طلاب الحق لا يقدّرون قوة الحق الكافية في الاتفاق، ولا يبالون بها، ينساقون إلى نتيجة باطلة وخيمة، تلك هي الاختلاف، بينما أهل الباطل والضلالة؛ فلأنهم يشعرون -بسبب عجزهم وضعفهم - بما في الاتفاق من قوة عظيمة، فقد نالوا أمضى وسيلة توصلهم إلى أهدافهم، تلك هي الاتفاق.

---

(1) إن ما يؤيد دعوانا هذه هو أن أقوى المنظمات الأوروبية وأكثرها تأثيراً في المجتمع وأشدها -من ناحية- هي منظمات النساء -وهن الجنس اللطيف- في أمريكا التي تطالب بحقوق المرأة وحريتها، وكذلك منظمات الأرمن الذين هم أقلية وضعفاء بين الأمم فتراهم يبدون تضحية وبسالة فائقة. المؤلف (النورسي).

وطريق النجاة من هذا الواقع الباطل الأليم، والتخلص من هذا المرض الفتّاك، مرض الاختلاف الذي ألمَّ بأهل الحق؛ هو اتخاذ النهي الإلهي في الآية الكريمة ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾[1] واتخاذ الأمر الرباني في الآية الكريمة ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾[2] دستورين للعمل في الحياة الاجتماعية، ثم العلم بمدى ما يسببه الاختلاف من ضرر بليغ في الإسلام والمسلمين، وبمدى ما ييسّر السبيل أمام أهل الضلالة ليبسطوا أيديهم على أهل الحق، ثم الالتحاق بقافلة الإيمان التي تنشد الحق، والانخراط في صفوفها بتضحية وفداء، وبشعور نابع من عجز كامل وضعف تام، وذلك مع نكران الذات، والنجاة من الرياء ابتغاء الوصول إلى نيل شرف الإخلاص »[3] .

وبعد، فأرجو أن أكون قد وفقت في عرضي لمعالم منهج النورسي في التعامل مع القرآن الكريم من خلال ما بيّنته في الأوراق السابقة، ولا أدعي أني أحطت بكل شيء، بل أؤكد قصور بحثي.

وحسبي أني نهلت من معين رسائل النور، ورشفت من بحرها الحلو الفياض، واقتبست من شعاعاتها ولمعاتها البهيّة.

وقد تركت ذكر بعض الأمور اليسيرة المتعلقة بمنهج النورسي في تفسير الآيات اكتفاءً بما قدمت، ولتعلّقها بقضايا فرعية دقيقة، أو لعدم تكرر ورودها في رسائل النور، فلا تشكّل ظاهرة عامة فيها.

والحمد لله أولاً وآخراً، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، وآله وصحبه وأتباعه أجمعين.

---

(١) الأنفال: ٤٦.

(٢) المائدة: ٢.

(٣) اللمعات، ص ٢٣٣ و ٢٣٤.